على طريق الأصالة الإسلامية

١٥

حركة تحرير المرأة في ميزان الإسلام

« طبعة مزيدة ومعدلة »

بقلم

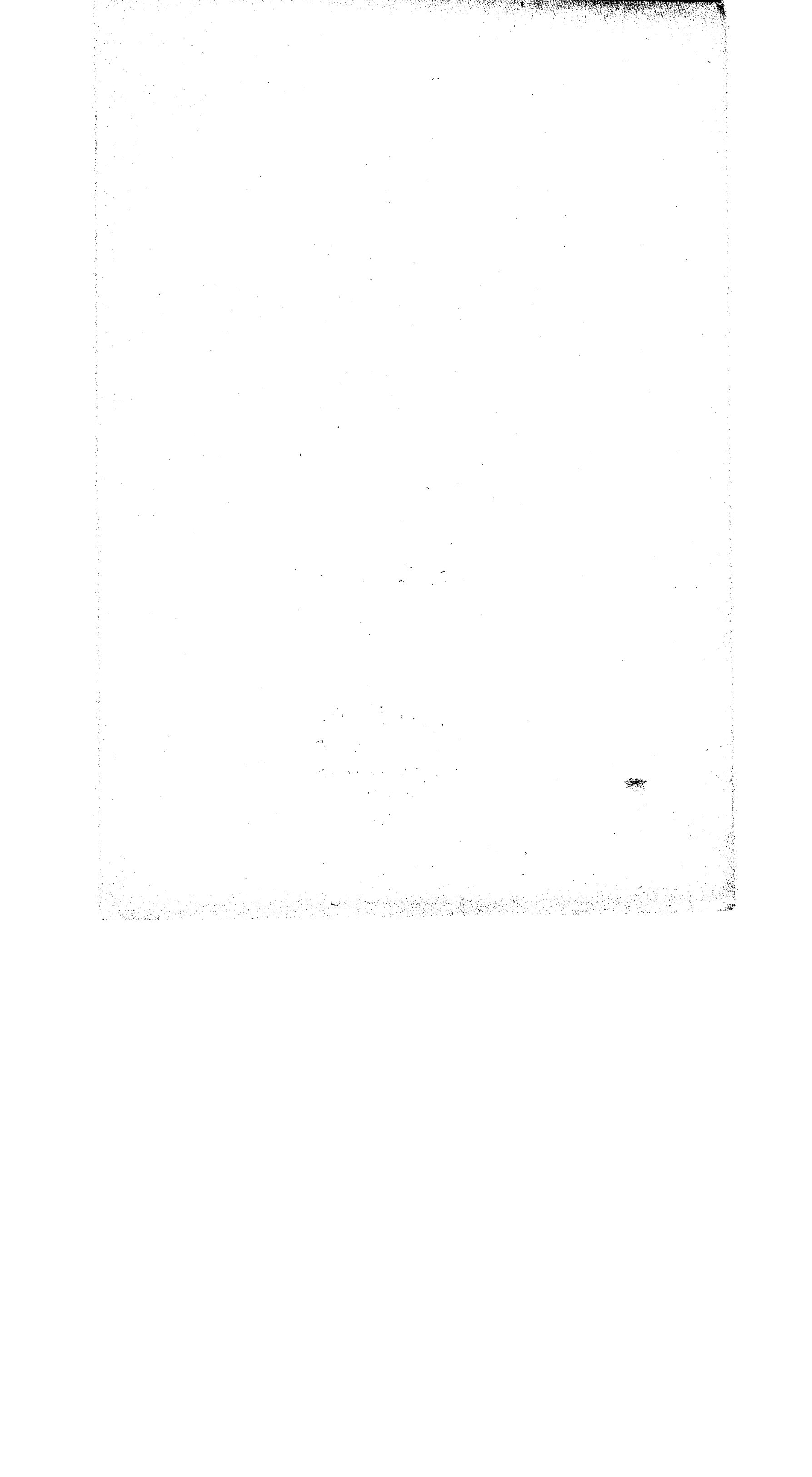
أنور الجندي

دار الأنصار

مكتبة - طباعة - نشر - توزيع

٨٩ شارع البستان ناصية شارع الجمهورية - عابدين

ت : ٩٣١٥٨١



بسم الله الرحمن الرحيم

حركة تحرير المــــرأة

إستهدفت حركة تحرير المرأة — التى حمل لواءها إتباع النفوذ الاستعمارى فى العالم الإسلامى — تحقيق مجموعة من الأهداف الخطيرة ، ترمى إلى هدم الأسرة وتدمير المجتمع ، ودفع المرأة إلى أن تكون أداة للأهواء والرغبات ، وإخراج المرأة عن مكانتها ورسالتها ، وتحطيم القيم الأخلاقية والاجتماعية والنفسية فى شأن العلاقة بين الرجل والمرأة ، وبين الأجيال المتتابعة وبين الشباب والفتيات بل إن دراسة مستوعبة لأهداف هذه الحركة لتكشف فى وضوح أن كل مقدرات النفوذ الأجنبي فى هدم المجتمع الإسلامى ، إنما تتركز فى العمل وراء هذا المخطط الذى يأخذ أسماء لامعاً براقاً من أسماء الأضواء .

ذلك أن الهدف من تحرير المرأة فى مفهوم المخططات الغازية إنما يرمى فى الحقيقة إلى استعباد المرأة وتدمير وجودها الشخصى وكيانها النفسى والاجتماعى وتحويلها إلى أمة بعد أن حررها الاسلام ، وأعطاها

حقوقها السياسية والاجتماعية والمالية ، على نحو لم تعرفه القوانين والشرائع القديمة والحديثة ، ولما تصل إليه بعد وقد حملت رياح السموم معها مفاهيم كثيرة مغلوطة فاسدة فى شأن علاقة المرأة بالرجل والمجتمع والأسرة والنسل ، أريد بها تحويل المرأة عن طبيعة فطرتها ورسالتها ودفعها إلى طريق مظلم مضلل وخاصه فيما يتعلق بالمساواة بين الرجل والمرأة ، والقوامة والاختلاط والأمومة واللباس والعمل .

الفصل الأول

الدعاية والوسائل

ولما كانت هذه المفاهيم الخاطئة ، وقد انطلقت سنوات طويلة من العبث خلال القصة والمسرحية ، من خلال الإذاعة والصحا فقد خدعت الكثيرين والكثيرات حتى ظن القوم إنها مسلمات وحقائق

ومن هنا نرى تلك المحاولة الضخمة في معارضة العودة إلى الفطر وإلى المفاهيم الأصيلة ، توجهها قوى أجنبية تحاول أن تجند لهـا قيادات مضللة ، تستمد توجيهها من خارج نطاق العالم الاسلامى ، من القوى الاستعمارية والصهيونية والشيوعية التى تمول كثيرا على حركة تحرير المرأة ، وترى فيها ركيزة لتدمير المجتمع الاسلامى وأهدافه، وإنه لمن العجب أن تقود مظاهرات معارضة عودة المرأة إلى الأصالة ، نساء لسن مسلمات ولا يعرفن مسئولية المجتمع الإسلامى ولا مفاهيم دينه ، وهم يعرفون أن تجربتهم فى الغرب قد فشلت ولكنهم مصممون على تدمير المجتمع المسلم .

الحاجز المكسود :

ولعل أخطر ما نواجهه اليوم فى البلاد العربية والإسلامية : تلك المحاولة التى ترمى إلى كسر الحاجز القائم بينها وبين الرجل حاجز العرض والعفة والخلق الذى يحمى المرأة من السقوط والانهيار . إن هناك لمحاولات ضخمة من خلال المسرح والسينما والقصص ، والكتاب النسائيين ، تهدف كلها إلى تحطيم هذا الحاجز حتى تسقط الأسرة وتتحطم الأمومة ، وينتشر طابع الخيانة الزوجية — على اساس أنه عرف من أعراف المجتمع — ولا ريب أن المرأة المسلمة اليوم ، التى عرفت حقها فى القرآن ورسالتها فى الإسلام ، يجب أن تعرف أبعاد هذه المؤامرة حتى لا تخدع بمعسول الكلام .

ولعل أول ما يقدم لها فى هذا الشأن هو تجربة المرأة الغربية نفسها ، فى مجتمعها المعاصر ، وهى تجربة قاسية عنيفة ، بعد أن إنحرفت الحضارة الغربية بالمرأة إنحرافاً طائشاً عن المسار الحضارى السليم ، حتى وصفت بأنها تقوم بذلك بعملية إنتحار حقيقة ، وقد أكد علماء الغرب المنصفون إن إنقاذ المجتمع لا يتم إلا بالقضاء على أسباب الانحراف ، التى أدت إليها هـــذه الفاجعة وتبدو عوامل الانحراف فى الظواهر الآتيه :

١ — إنتشار أقراص منع الحمل دون رقابة ، أدى إلى انتشار الصلات الجنسية المحرمة (الزنا) دون تحفظ ولا خوف ، فتزعزعت أركان الأسرة ولم تعد فتاة الحضارة الغربية — ومثلها الشباب — ترى أن فى الزواج وتكوين الأسرة ضرورة إجتماعية .

١ — إنتشار أقراص منع الحمل دون رقابة ، أدى إلى انتشار الصلات الجنسية المحرمة (الزنا) دون تحفظ ولا خوف ، فتزعزعت أركان الأسرة ولم تعد فتاة الحضارة الغربية — ومثلها الشباب — ترى أن فى الزواج وتكوين الأسرة ضرورة إجتماعية .

٢ — إنتشار ظاهرة الهيبية والخنفسة وانتشار الأزياء القصيرة الفاضحة والسماح دون تحفظ بالمزيد من الاباحية فى السينما والمسرح والصحافة .

٣ — إنتشار المخدرات بجميع أنواعها وأشكالها ، أدى الى تورط شباب الحضارة الغربية وفتياتها فى الجريمة والاباحية وأدى الى فقدان الثقة بالمثل والأخلاق ، فأصبحوا يجاهرون بل يفاخرون بمعاداة المجتمع والقانون .

الطامة الكبرى :

وقد أعلن البروفسور « يواكيم هاتيه » بأن الأمراض الجنسية

قد زادت حوالى خمسين فى المائة فى المجتمعات الغربية عما كانت عليه قبل عشر سنين ، وإن ٧٠ مليون مصاب بالسيلان القيحى بين ذكر وأنثى فى الدول الغربية المتقدمة ، هذا فضلا عن انتشار الأمراض الجنسية بين طلاب وطالبات المدارس المختلفة كذلك أشارت الأبحاث إلى أطفال القرن العشرين البؤساء الذين هجرتهم أمهاتهم ، وأضافت إلى الهجر عقوبة أخرى هى اليتم ، وما دام الطفل محروماً من أمه فهو طفل يتيم ، ولا يمكن أن يعوضـــه عن إفتقاد الأم أيه أم أخرى صناعية أو مستعارة كذلك كان أطفال العصر الذين خرجت أمهاتهم للعمل أقرب إلى اللقطاء ، واليتامى . فالأم تريد بعد العمل أن تتفرغ للهوها ولذلك فقد ألقت الأبناء فى أحضان الخادمات الجاهلات القاسيات أو دور الحضانة التى أصبحت مهنة تجارية رابحة وليست دوراً للتربية .

الفصل الثانى

تقرير دولى ومؤامرة خطيرة

بل إن التجربة الغربية التى يجب أن توضع أمام المرأة المسلمة قد وصلت إلى أقصى من ذلك ، فقد أشار تقرير عصبة الأمم ١٩٢٧ ، إلى أن هناك طائفة من الفتيات يجد سماسرة الأعراض بينهن مورداً عظيماً لا ينضب ، وهذه الطائفة من الممثلات والراقصات وفتيات المسارح والحانات وأمثالهن ، ومما يدعو إلى الأسف أن كثيراً من مديرى تلك المسارح والحانات ، يشترطون فى الفتيات اللاتى يستخدمونهن ، أن لا يرفضون بيع أعراضهن إذا طلب منهم ذلك ، هذه هى الصورة الغربية التى يجب أن تكون أمام المرأة المسلمة ، وهى تقرر موقفها من هذه الحركة الضالة التى تقودها القوى الأجنبية فى بلادنا ، ولقد كانت حركة تحرير المرأة هى أوائل هذا القرن مؤامرة خطيرة إستهدفت — كما وصفها الأستاذ محمد فريد وجدى — تدهوراً مروعاً فى الآداب العامة وإنتشاراً مفزعاً لمبدأ العزوبية وأصبحت جلسات المحاكم غاصة بقضايا هتك الأعراض وهرب الشابات من أهليهن .

مهزلة أليمـــة :

وقد أعلنت الدكتورة بنت الشاطىء ما تكشفت عنه حركة تحرير المرأة مما أسمته « مهزلة أليمة موجعة . تلك هي : « أن الرجال ساقونا لنعمل لحسابهم ، وهم يوهمونا أننا نعمل ويعملون معنا لحسابنا ذلك أن الرجال رتبوا لنا الخروج زاعمين أنهم يؤثروننا على أنفسهم ، ولكنهم كذبوا في هذا الزعم فما أخرجونا إلا ليحاربوا بنا السآمة والضجر في دنياهم . إن أقسى ما نلقاه في محنتنـــا هو شعورنا بما انكشف من ضعف الرجال وصغارهم ، ونحن شقيات بذلك ، فكان منه مرارة موجعة .

وأشارت الدكتورة عائشة إلى هذا الإنحراف فقالت : إن المرأة دفعت ضريبة فادحة ثمنا للتطور ، ويكفي أن أشير في إيجاز إلى الخطأ الأكبر الذي شوه نهضتنا ، وأعني به إنحراف المرأة الجديدة عن طريقها الطبيعي ، وترفعها عن التفرغ لما تسميه « خدمة البيوت وتربية الأولاد » ، ذلك لأن الأمة لم تخرج فتياتها من دورهن لتسد بهن فراغاً كانت تشكوه في ميادين الأعمال ، وإنما أرادت أن يجد فيهن الأمهات المستنيرات المثقفات وها هن اليوم ترى البيوت منهن مقفرة خلاء ، أما الأبناء فتركوا للخدم ، وبلغ من سوء ما وصلت إليه الحال : أن نادت مناديات بحذف نون النسوة من اللغة ، كأنما الأنوثة نقص ومذلة وعار وأهدر الأعتراف

بالأمة كمعمل من الأعمال الأصيلة لنا ، حتى سمعنا من يسأل : كيف تعيش أمة برئة معطلة ؟ بالرئة المعطلة : هؤلاء الباقيات فى بيوتهن يرعين الأولاد ، وزعموا أن المرأة تستطيع أن تجمع بين عملها فى البيت ووظيفتها فى الخارج .

مم تتحرر المرأة ؟

وقد كشف الكثيرون عن أن هذه الحركة النسوية ، ماهى إلا مناورات مضللة ، وقال الشيخ محمود أبو العيون رحمه الله : إن المرأة فهمت الحرية فهماً معكوساً ، وفى ظل الحرية الزائفة تحررت المرأة من الآداب والأخلاق ، ورأت فيها قيوداً يجب تحطيمها وفى ظل هذه الحرية الزائفة داست المرأة أقدس واجباتها كزوجة وأم وربة منزل ، فتهدمت تلك الأصول الثلاثة التى تبنى عليها حياة الأسرة وسعادة المجتمع .

وقالت السيدة لبيبة هاشم : أو لسنا نرى عيوب المدنية الأوربية بدأت تجر أذيالها ، فتكنس آثار الحشمة فى طريقنا أو لسنا نشعر بريحها السموم تهب من الغـــرب فتذرو فى عيوننا رماداً تعمى به أبصارنا ، ما أهمية الشعر مجزوزاً أو مترسلا أو معقوصاً أو مضفوراً ، إذا كانت الرأس لا تحوى عقلا وعلماً .

بل إن قاسم أمين نفسه بعد أن كتب كتابه تحرير المرأة والمرأة الجديدة ،

قد غير رأيه إذ رأى النتائج العكسية لما دعا إليه ، فقال فى تصريح لنشرته جريدة الظاهر (اكتوبر ١٩٠٦) .

لقد كنت أدعو إلى إقتفاء أثر الترك بل الافرنج فى نحو تحرير نسائهم ، وغاليت فى هذا المعنى حتى دعوتهن إلى تمزيق الحجاب وإلى إشراك النساء فى كل أعمالهم ومآدبهم وولائمهم ولكننى أدركت الآن خطر هذه الدعوة ، بما اختبرته من أخلاق الناس ، فلقد تتبعت خطوات النساء فى كثير من الاحياء ، لاعرف درجة إحترام الناس لهن ، فرأيت من فساد أخلاق الرجال — بكل أسف — ما حمدت الله على ما خذل من دعوتى ، واستفز الناس إلى معارضتى ، لهذا لا أجد الوقت مناسباً للدعوة إلى تحرير المرأة بالمعنى الذى قصدته من قبل » .

الفصل الثالث

تعليم الفتاة المبتور

وهذا كله يعنى فساد هذه الدعوة التى أشعلها الاستعمار ليكسب من ورائها تدمير المجتمع الإسلامى ، والسير بها إلى الغايات التى يرجوها وآية ذلك أن تعليم الفتاة المسلمة ما زال ناقصاً ومبتوراً . ولا تجنى منه الفتاة إلا غروراً وزهواً ، وأنه فشل فشلا تاما فى تخريج زوجة صالحة ، تدير شئون بيتها وتربى أطفالها ، بل إنه لم يعلمها ما هى رسالتها الحقيقية فى المجتمع .

وقد استتبع الخطأ الواحد عدة أخطاء : إستتبع تلك الحركة الضالة التى استهدفت المساواة والإختلاط ، والاستهانة بمسئولية المرأة ومهمتها الأساسية ، ودفعها إلى مجال الأهواء ، فقد فتحت لها بيوت الأزياء وأعدت لها وسائل الزينة والإغراء والدعاية ، وقام على ذلك كله اليهود خصوم الإسلام ، وكان وراء هذه الدور غايات خاطئة .

اليهود وخصوم الإسلام :

وراء إستدراج المرأة لافسادها :

وما تزال المرأة سلعة يلعب بها يهود العالم وقد جعلوها وسيلة للكسب والدعاية ، واقتحمت موضات اللباس المختلفة كل البلاد ، وفرضت نفسها على المجتمعات الإسلامية .

وأخذت بقوانين الكنيسة :

بل إن بعض الأقطار الإسلامية خضعت فى قوانين الطلاق لغايات من قوانين كنسية لا إسلامية ، حدث هذا فى الوقت الذى تراجعت فيه الكنيسة عن الزواج الكاثوليكى ، أى عن منع الطلاق تحت ضغط الحاجة ، وفى إيطاليا قلعة الكاثوليك أقر برلمانها إباحة الطلاق وما أن صدر القانون حتى جوبهت المحاكم بمليون طلب طلاق وما زال المسلمون يخضعون لمؤامرات الغرب فى تحديد النسل ، بينما رفضت الكنيسة ذلك ، وما زال أسلوب تعليم المرأة وتربيتها خاضعاً وتابعاً للأساليب الغربية وسيظل تعليم المرأة المسلمة عبثاً ما لم يهدف إلى أمور ثلاثة :

١ — تربية أنوثتها فهى هبة الله الكبرى .

٢ — تربية أمومتها فهى جوهر ذاتيتها .

٣ — تربية ذوقها فهو مفتاح شخصيتها .

٣ — تربية ذوقها فهو مفتاح شخصيتها .

الحرية والكرامة :

لقد أعطى الإسلام للمرأة المسلمة منذ بزغ فجره حريه وكرامه ، ومساواة لم تمنحها لها أية حضارة أو شريعة سابقة عليه ؛ فجعل لها حق الامتلاك والتصرف والبيع تصرفاً مستقبلا عن الرجل ، وجعل لها حق العلم فريضة ، وأتاح لها أن تعمل فى مجال التربية والتطبيب مادامت تحفظ شخصيتها ودينها وكيانها . وقد أحاط الاسلام رسالتها الاساسية وعملها كله بقيم أساسية عامة ، فى مجال الأخلاق والدين ، تجرى من خلالها حركة المرأة فى قدر كبير من التحول لها ، والمحافظة عليها ورفعها إلى مجال الكرامة والكمال ، وحماية لها من ذوي الأغراض والأهواء وأبرز مايوصى به الإسلام ودعا إليه المرأة ، هو المحافظة على ذاتها وعرضها ، وصونه عن غير من هو أحق به حلالا وهو الزوج ، والكرامة فى إبداء الزينة لهذا الرجل المصاحب فى الحياة بحق الشرع ، فليس لغيره أن يطلع على زينة المرأة أو جمالها ، أما بالنسبة للنـــاس جميعاً فإن كرامتها تقتضيها أن تواجههم فى ملابس لاتشف ولاتكشف ولاتصف ، إيماناً بأنها ليست أداة من أدوات الزينة ، والمتعة لكل الناس ، وليست معرضاً للأزياء أو مصدراً من مصادر

الترف لكل ناظر ، وهكذا حفظ لها الإسلام كرامتها فى مواجهة الناس ، فهى حين تلقاهم فى سمت كريم ، ولغة واضحة « فلا تخضعن بالقول فيطمع الذى فى قلبه مرض وقلن قولا معروفاً » (الأحزاب) ومشاركة فى العمل قوامها العقـــل والفهم والذوق ، وليس قوامها الأغراء بالملبس المكشوف أو الكلمة الرخية .

حق الله وحق الزوج :

ومن حق المرأة أن تعرف حق ربها عليها ، وحق زوجها وحق أهلها فتؤدى هذه الحقوق بالصلاة والصدقة والسؤال والزيارة ومن حق المرأة أن تثقف نفسها ثقافة نسوية خاصة وثقافة علمية عامة ، فلها مجال فى الثقافة بالإضافة إلى المجال العام ، يكشف عن دورها فى بناء الأسرة وتربية الطفل ورعاية الزوج ، والقيام على مختلف الشئون المنزلية أداء أو إشرافاً على من يؤديها .

ومن حيث يريد الإسلام لها من حقوق وواجبات ومجال عمل وطريق حياة ، إنما يريد أن يحررها على أن تكون أمة أو عبدة أو أداة الرجل ، على النحو الذى يفهم فى ظل الحضارات الوثنية القديمة ، أو الذى تحاول أن تصوره الحضارة الحديثة . فالرجل لا يعجبه إلا بالفتاة ذات الكرامة والاستعلاء عن الأهواء ، الفتاة التى تعرف

واجبها وحق الله عليها ، وحين تعتصم الفتاة بالإيمان والكرامة وسلامة الشخصية ، إنما تدفع عنها كثيراً مما يواجهها فى الحياة اليوم من إخطار واسواء .

هدية الإسلام :

فالتعليم وحق المرأة فى العمل موجودان فى الإسلام وهو الذى أهداهما إلى الحضارة الغربية أصلا ، ومن حقها أن تمارسهما فى حدود قيمنا ومفاهيمنا ، وعلى الفتاة أن تعرف واجبها كاملا وأن استرشد فيه بهدى النماذج الكريمة التى قدمها تاريخ الاسلام للمرأة المؤمنة المجاهدة فى سبيل الله ، بانيه الشباب الكريم النافع وصانعة الحياة الطيبة ، ومؤازرة الرجل فى عمله ومشاقه ، مرتفعة فوق مطامع الناس وأهواء المجيمعات ومحاولات الذين يريدونها رقيقاً من حيث جعلها الله دات سيادة وكرامة .

قسمة الوظائف الطبيعية :

ولقد شاء الله تبارك وتعالى للجنسين أن يعملا ويعمرا الحياة ، وقسم بينهما الأعمال تقسيما يصلح لشخصية وطبيعته ، وتكوين كل منهما ، الدور الذى يقوم به ، وجعل من حق المرأة العمل بحيث

لايتعارض مع نشئة الابناء والحفاظ على كيان الأسرة، فإذ تعرض بناء الأسرة للخطر ، كان على المرأة تحفظه وأن تتنازل عن حقها فى العمل الخارجى الذى يمكن أن يؤديه غيرها .

والمرأة المسلمة بعامة إنما تستمد مصادر نهضتها من خلال القيم الأساسية التى رسمها الاسلام والقرآن ، وطبقها النبى الكريم صلى الله عليه وسلم ، بما يفتح لها طريق الكرامة وحسن الخلق ، وبناء شخصية المرأة على أساس من الايمان والقدوة الحسنة والتربية العملية بما يحررها من أقسى قيد يحاول النفوذ الأجنبى أن يوقعها فيه ، وهو قيد (الاستعباد) والعودة إلى حياة الآماء والعبودية لشهوات الرجل بأن تكون أداء للأهواء الجامحة التى تريد أن تدمر المجتمع الاسلامى ، فليست المرأة أداة ولا متعة ولاصنيعة أهواء الرجال ، وإنما هى شخصية كاملة عالمية الكرامة ؛ لها رسالتها ودورها ومهمتها ، ولنتذكر أن المرأة المسلمة على طوال تاريخ الاسلام كانت تعمل وهى تحمل معها قيم الاسلام ، ولم تتخل عنها وبذلك إستطاعت أن ترسم صورة شريفة لدور المرأة فى بناء الحياة الإنسانية .

الفصل الرابع

أمانة الفكر الإسلامي

هذه أمانة الفكر الاسلامى إلى ذات الرداء الأبيض اليوم ، ونحن نشاهد هذه النهضة الجديدة التى تقوم على أساس التماس المرأة المسلمة لمفهوم الاسلام الحقيقى ؛ لقد كشفت الدراسات الجادة عن مآخذ إجتماعية خطيرة فى حياة المرأة العربية والمسلمة ترجع إلى الثقافة الوافدة ؛ التى تعارض مفهوم الإسلام الأصيل فالمرأة العربية والمسلمة تتأسى بصورة المرأة فى كتاب ألف ليلة وليلة الدخيل والزائف ؛ وتجعل من صورتها فيه نموذجاً لها ؛ وهو نموذج الجارية التى لايهمها إلا لباسها ولاترى فى نفسها أكثر من متعة للرجال. تعيش بغرائزها وعليها أن تكون جميلة وأن تسلى الرجل وأن تطهو له الطعام أشبه بدمية : مثلها الأعلى الأناقة المسرفة ؛ وبذلك جحدت عطاء ربها وجحدت المجتمع وجحدت ذاتها .

ولقد ساقتها المجلات — التى تسمى نفسها نسائية — إلى أن

تكون أشبه بعارضة أزياء ، لا هدف لها إلا ملابسها وحقائبها وأحذيتها ، وهى قد أضعفت فيها الحدود والضوابط التى تفصل بين المرأة المؤمنة والمرأة الخليعة ؛ فهى لا ترى بأساً فى أغلب الأحيان من أن تحترف الغناء والتمثيل وأن تحطم نطاقها الشرعى الشريف ؛ لقاء عطاء مادى لا قيمة له أمام الكرامة والعرض .

كذلك فهى مخدوعة بكل دعوة إلى العمل والسفر ؛ حتى ولو تكشف أن هذا هذا ليس إلا فى مجالات بعيدة عن العفة والكرامة تغريها على هذا أفلام لامعة ؛ لا تجعل لها قياساً إلا ما تحصل علية مادياً ، مهما كان نوع العمل ومهما كان ما تتعرض له من سوء ذلك لأننا عجزنا عن أن نربى فى المرأة المسلمة الغيرة والكرامة والحفاظ على العرض ؛ والارتفاع به فوق كل المغريات وكل المعطيات ومن ذلك مقياس الأجر فى موازنة تربية الطفل . فهل يمكن أن يوزن أى أجر يعطى للمرأه ؛ تنفق أغلبه على أزيائها وملابسها بما يفقده طفلها من رعاية ؛ عند ما تدعه فى يد الخادمات القاسيات وهناك ظاهرة الخسارة التى تتعرض لها بلادنا ؛ بانفاق ملايين الدنانير كل عام ؛ على شراء الثياب والأحذية والعطور والمساحيق وهذا باب آخر من أبواب الشر يضاف إلى الخسارة المتعددة الوجوه ؛ التى فتحت أبوابها فتنة تحرير المرأة .

ضرب الاقتصاد :

من خلال المرأة :

يقول الدكتورة نازك الملائكة : أن معامل الأقمشة فى الغرب المستعمر تضحك منا ، وتستعملنا نحن النساء فى ضرب الاقتصاد القومى فى العالم العربى ، ومعامل الأقمشة لا أخلاق لها وآلاتها الرهيبة بلا قيم ولاإنسانية ؛ إنها تريد أن تبيع وتبيع ، وليس يهمها فى سبيل ذلك أن تقتل روح الإنسان وتذل كرامته ، وهذه العامل الشريرة الجشعة هى التى تغير الأنماط كل عام فتصنع دفاتر لنماذج جديدة ، وهو ما يسمى بالموديلات التى تغمر أسواقنا مثل مجلة (بوردة) اليهودية وسواها ، وهذه المجالات تفتك بروح المرأة فتكا ذريعاً ، يؤدى بنا إلى الخراب الاقتصادى الأكيد فهى تأتى بخبراء للملابس يخيطون الأقمشة الجديدة فى أنماط معينة ثم تقيم معارض للأزياء ، فتأتى بفتيات جميلات تلبسن هذه الملابس . وتعرض أجسادهن على العيون ، كما كانت الجوارى يعرضن فى سوق النخاسين وقد اصبحت اخيراً تغرى الاذاعات المرئية بتصوير حفلات الأزياء ونقلها ، إيراها الملايين وينتقل الفساد إلى داخل البيت العربى نفسه .

عوامل الانهيار :

وبالجملة فإن المراة تنهار امام هذا الغزو الفاضح . تحت تأثير تشجيع الصحافة والاذاعة وكتاب القصص ، وكل هذا يدعو إلى التساول : هل خضعنا للتخطيط الوافد . الذى يدفع المراة المسلمة إلى ان تنهار امام الغزو الغربى المادى ، وبذلك يسقط للعالم الإسلامى كله من وراء ذلك لقمة سائغة فى أيدى القوى المسيطرة على هذه الاعمال ، إن أغلب معامل العطور المساحيق والاقمشة إنما يملكها اليهود فى الغرب ، هؤلاء الذين يسعون إلى السيطرة على العالم ، ويحكمونه بعد أن يدمروا أخلاقنا ، وأسلوبهم فى السيطرة ذو شقين :

أولهما : الاستيلاء على المال فى كل بلد ينزلونه .

الثانى : هدم الأخلاق والقيم والمثل والمعتقدات .

وقال قائلهم :

ولقد أشار هنرى فورد فى كتابه (اليهودى العالمى) بأن اليهود من أجل تحقيق غايتهم ، قد سيطروا على ثلاثة أشياء البنوك الربا والسينما لتقديم مفاهيمهم المسمومة ، ومعامل الملابس والمساحيق

والعطور ، وسواها من مستلزمات (الموضة) ، فكلما غيروا الألفاظ زادوا النساء شراء وإنفاقاً ، وتسربت الأموال إلى جيوب اليهود وهم يحققون أيضاً قتل الأخلاق ، ويشيعون التفسخ وينشرون الشهوات وإنما الملابس القصيرة إبتكار يهودى فقد رفعوا أزياء النساء فوق الركبة ليزول الحياء وتنتشر الرذيلة ويشيع الاختلاط غير البرىء بين الشبان والشابات ، وتضيع طهارة الفتاة وتهدم الأسرة وتنشر الأمراض الجنسية ، ويبتلى الأطفال وينشأ جيل ضائع موبوء مريض ، والمرأة المسلمة تسعى إلى حتفها وحتف أمتها دون أن تدرى ، وقبل أن تحقق من أحلامها وأهوائها .

الفصل الخامس

واجب المرأة المسلمة

ومن هنا فإن على المرأة المسلمة أن تصرف عن نفسها تلك الأكاذيب المضللة التى خدعت بها ، من مثل القول بالمساواة بين الرجل والمرأة ، أو الاختلاط ، وان تعلم أن وظيفه المرأة الأساسية هى بناء الأسرة ، وإنشاء الجيل الصالح ، وان تقدم تربية أبنائها على كل عطاء مادى ، أو عمل لا يناسبها ، ولا يحفظ كرامتها ، أو ليست فى حاجة إليه ، وعليها ان تعتصم بالغيرة والمـــروءة ، وأن تحمى نفسها من أهواء المفسدين الذين يتاجرون بالجنس ، ويسترقون النساء باستغلالهن فى دور اللهو والفساد ، وان تحرص على اللباس الكريم المحتشم ، وستر ما يجب ستره كما أن تمتنع عن الترجل وتقليد الرجال ، فى الكلام أو المشى أو شرب السجائر ، وان يعلمن بأن الاختلاف التكوينى بين الرجل والمرأة هو خلاف بيولوجى يجعل لكل منهما وظيفه غير وظيفة الآخر .

إختلاف فسيولوجى :

وقد أشار الدكتور أليس كاريل : إلى ان الاختلا بينهما ليس فى الأعضاء التناسليه وحدها ، ولا فى وجود الرحم والحمل بل هو اختلاف ثابت ومتين فى الأنسجة ، وتلقيح الجسم كله بمواد كيماوية محددة ، كذلك فإن هناك خلافاً أساسياً فى تكوينها العضلى ، ومن هنا فقد أخطأ الجاهلون فى ان يتلقى الجنسان تعليما واحداً ، أو يمنحا سلطات واحدة أو مسئوليات متشابهه ، ولا ريب ان ما قاله كاريل ، عن الفوارق بين الرجل والمرأة من حيث التكوين العضلى والعصبى والعقلى ، وإنما يؤكد ما سبق إليه القرآن الكريم قبل أربعة عشر قرناً حين قرر « وليس الذكر كالأنثى » وقوله تبارك وتعالى « أو من ينشأ فى الحلية وهو فى الخصام غير مبين » الزخرف : ١٨ »

ودعوة مخلصة :

لقد دعت النساء الأوربيات اللاتى أسلمن (استان وابتُيش إلى يزانت ، أيفلين كوبلاد) المرأة المسلمة إلى الحفاظ على مهمتهما ووظيفتها والحفاظ على شخصيتها والاحتراز من أخطار الاختلاط فى الوظائف والأعمال والأسواق ، وإلى الإمتناع عن الأزياء غير

المحتشمة ، ونعى هؤلاء عليها إنصرافها عن مسئولياتها فى تربية الأولاد ورعاية الزوج وكيف أن المرأة تتمتع فى ظل الإسلام بكرامة شخصية وحقوق إنسانية لم تتحقق للنساء فى أوربا وأمريكا حتى الآن وأن العالم لن يجد له طريقاً إلا التماس مفهوم الإسلام ليخرج من أزمته .

الفصل السادس

خطة المؤامرة

ولكى تعرف خلفيات هذه القضية الخطيرة يجب أن نذكر شيئاً مهماً هو أن كتاباً ظهر فى مصر عام ١٨٩٤ (أى بعد الإحتلال البريطانى بعام واحد لمحام مصرى موال لكرومر وللنفوذ الأجنبى يدعى « مرقص فهمى » تحت عنوان « المرأة فى الشرق » صور فيه خطة الاستعمار فى المطالبة بتحقيق خمسة أغراض :

(١) القضاء على الحجاب الإسلامى .

(٢) إباحة الاختلاط للمرأة المسلمه بالأجانب عنها .

(٣) تقيد الطلاق ووجوب وقوعه أمام القاضى .

(٤) منع الزواج بأكثر من واحدة .

(٥) إباحة الزواج بين المسلمات وغير المسلمين .

وكان هذا المخطط هو النواة الأولى للنفوذ الأجنبى التى تدرس على ضوئه

« حركة قاسم أمين » وهدى شعراوى ؛ ذلك انه لم تمض سنوات خمس حتى ظهر كتاب « تحرير المرأة » فكان ذلك خطوة على الطريق ظن البعض سلامتها ، فما هى هذه الخلفيات لهذا الحدث الخطير .

أولا : كتب داود بركات رئيس تحرير الأهرام بجريدته الصادرة فى ٤ يناير ١٩٢٨ مقالا :

قال فية أن قاسم أمين قرأ كتاب الدوق داركور « والمصريون » ورد عليه بكتاب باللغة الفرنسية وفند إتهاماته . . فلما ظهر هذا الكتاب وصف بأنه لم يكن فى صف النهضة النسائية فقد رفع الكتاب من شأن الحجاب وعده دليلا على كمال المرأة ؛ كما ندد بالداعيات إلى السفور وقد رأت فيه الأميرة نازلى فاضل تعريضاً بها ثم استطرد يقول (وكانت الأميرة نازلى فاضل ولها صالون يحضره سعد زغلول ومحمد عبده وجماعة من الطامحين إلى تولى السلطة فى مصر تحت قيادة النفوذ البريطانى وبرعاية اللورد كرومر) .

ويقول داود بركات متابعاً :

وقد أشير على جريدة المقطم — وهى لسان الإنجليز فى مصر ذلك الوقت — ان تكتب ست مقالات عن الكتاب تفند أخطاء قاسم فى هذا الإتجاه ، ودفاعه عن الحجاب ؛ وإستنكاره واختلاط الجنسين . .

ثم أوقفت الحملة بعد إتفاق الشيخ محمد عبده وسعد زغلول مع قاسم أمين على تصحيح رأيه . وقد حمل الشيخ محمد عبده الدعوة إلى تحرير المرأة فى دروسه فى « الرواق العباسى » بالأزهر حين أعلن أن الرجل والمرأة متساويان عند الله . . وقد ترددت آراء كثيرة بأن الشيخ محمد عبده كتب بعض فصول الكتاب أو كان له دور فى مراجعتها ومما أورده لطفى السيد أنه اجتمع فى جنيف عام ١٨٩٧ بالشيخ محمد عبده وقاسم أمين وسعد زغلول وأن قاسم أمين أخذ يتلو فقرات من كتاب تحرير المرأة وصفت بأنها تنم عن أسلوب الشيخ محمد عبده نفسه(١) .

* * *

ثانياً : كتب فارس نمر صاحب المقطم مقالا فى مجلة الحديث (الحلبية) عام ١٩٣٩ وأشار إلى هذا الحادث فقال :

---

(١) أشار السيد أبو الحسن الندوى فى كتابه الصراع بين الفكرة الاسلامية والفكرة الغربية ان الشيخ محمد عبده كان فى هدفه قريباً من السيد أحمد خان فى الهند وقد شهد بذلك اللورد كرومر فى كتابه (مصر الحديثة) حيث قال ان الشيخ محمد عبده كان مؤسساً لمدرسة فكرية حديثة فى مصر قريبة الشبه بتلك التى أسسها السيد أحمد خان فى الهند فهو وتلاميذه خليقون بأن يقدم له كل العون فهم الحلفاء الطبيعيون للمصلح الأوربى » .

« إنه ظهر كتاب للدوق داركور يطعن فيه على المصريين طعناً مراً ، ويخص النساء بأكبر قسط منه . . إذ رماهن بالجهل وضعف مكانتهن فى المجتمع . فاهتاج الشباب وتطوع قاسم أمين للرد على كتابه . .

ويستطرد فارس نمر .

وهنا أشير الحقيقة لا يكاد يعلمها إلا ندرة فى مصر . . هذه الحقيقة أن كتاب قاسم أمين الذى رد فيه على « دوق داركير » لم يكن فى صف النهضة النسائية التى كانت تمثلها الأميرة نازلى . . بل كان الكتاب يتناول الرد على مطاعن المؤلف الفرنسى ، ويرفع من شأن الحجاب ، ويعده دليلا على كمال المرأة ، ويندد بالداعيات إلى السفور ، واشتراك المرأة فى الأعمال العامة . . ولما ظهر كتابه هذا ساء ما إخوانه من محمد المويلحى ، ومحمد بيرم ، وسعد زغلول . . ورأوا فيه تعويضاً جارحاً بالأمـــيرة نازلى ، تشاوروا فيما بينهم فى الرد واتفقوا أخيراً أن أتولى الكتابه عن هذا الموقف وعرض فصوله وإنتقاد ما جاء به خاصاً بالمرأة ، وبدأت فى كتابه سلسلة مقالات عنه . . ولكن ذلك النقد لم يرق فى نظر قضاة محكمة الإستئناف ، ورأوا فيه مساساً بهيبتهم .. لأن قاسم أفندى كان أحدهم ورأوا أن أفضل وسيلة يبذلونها لكى أكف عن الكتابة أن مؤلفه يرجو الأميرة نازلى فاضل لكى تطلب إلى ذلك . . وتطوع الشيخ محمد عبده للقيام بهذه المهمة وذات مساء حضرت إلى صالون الأميرة كما حضر

الشيخ محمد عبده ومحمد بيرم والمويلحى .. وبعد قليل تحدث الشيخ محمد عبده مع الأميرة فى هذا الشأن . . فالتفتت إلى سموها وقالت لى : أنها لا تجد بأساً فى أن الكتابة فى الموضوع . . وكانت هى لم تقرأ الكتاب ولم تعرف أنه يشمل الطعن فيما تدعو إليه . . فلما رأى ذلك محمد المويلحى قال لسموها : أنه يدهش من طلب الأميرة وخاصة لأن الكتاب تعرض لها . . فبدت الدهشة عليها وكانت إحدى نسخ الكتاب موجودة عندها .. وعبثا حاولت أن أقفل إباب الحديث فى هذا الشأن وخاصة بعد أن لحت عليها معالم الاضطراب والجد والعنف . . فلما اطلعت على ما جاء به ثارت ثورة شديدة ووجهت القول بعنف إلى الشيخ محمد عبده . لأنه توسط فى هذا الموضوع .. ومرت الأيام بعد ذلك واتفق محمد عبده وسعد زغلول والمويلحى وغيرهم على أن يتقـــدم قاسم أمين بالإعتذار إلى سمو الأميرة . . فقبلت إعتذاره ثم أخذ يتردد على صالونها . . وكلما مرت الأيام إزدادت فى عينه ، وارتفع مقامها لديه .. وإذا به يضع كتابه الأول عن المرأة الذى كان الفضل فيه للأميرة نازلى والذى أقام الدنيا وأقعدها بعد أن كان أكثر الناس دعوة إلى الحجاب .

ولما ظهر كتابه قابله الرأى العام بمعارضة شديدة من السخط والاستنكار وظهرت عشرات الكتب التى تهاجم من كل مكان وتسفه رأيه

وتشكلت لجنة من الثائرين ضده للرد عليه فيهم الشيخ البولاقى وطلعت حرب ومحمد فريد وجدى وواصل سعد الدفاع عن آرائه التى دافع عنها فى كتابه المرأة الجديدة .

إنتهى كلام فارس نمر :

ثالثا : أشارت هدى شعراوى فى محاضرة لها إلى هذا المعنى وكشفت هذا السر الذى ظل خافيا زمنا طويلا ، ولم يكشف إلا بعد وفاة قاسم امين بعشرين سنة .

الفصل السابع

عدول قاسم عن دعوته

غير أن الذى يلفت النظر أن قاسم أمين عدل عن رأيه هـذا من بعد ، وتبين له أنه أخطأ الطريق .. وقد تبين هذا حين صرح قاسم أمين فى حديث له صحيفه « الظاهر » التى كان مصدرها المحامى محمد أبو شـادى حيث أعلن رجوعه ، وأعلن أنه كان مخطئاً فى (توقيت) الدعوة إلى تحرير المرأة .. هذا التصريح نشرته جريدة « الظاهر » فى أكتوبر ١٩٠٦

قال قاسم أمين :

« لقـد كنت أدعو المصريين قبل الآن إلى إقتفاء هذا المعنى حتى دعوتهم إلى تمزيق ذلك الحجاب ، وإلى إشراك النساء فى كل أعمالهم ومآدبهم وولائمهم .. ولكنى أدركت الآن خطر هذه الدعوة بما إختبرته من أخلاق الناس .. فلقد تتبعت خطوات النساء فى كثير

من أحياء العاصمة والإسكندرية لأعرف درجة إحترام الناس لهن ، وبماذا يكون شأنهم معهن إذا خرجن حاسرات فرأيت من فساد أخلاق الرجال بكل أسف ما حمدت الله على ما خذل من دعوتى واستنفر الناس إلى معارضتى . . رأيتهم ما مرت بهم امرأة أو فتاة إلا تطاولوا إليها بألسنة البذاء ، ثم ما وجدت زحاماً فى طريق فمرت به امرأة إلا تناولتها الأيدى والألسن جميعاً . . إننى أرى أن الوقت ليس مناسباً للدعوة إلى تحرير المرأة بالمعنى الذى قصدته من قبل » .

ومعنى كلام قاسم أمين هذا الذى نشره قبل وفاته بعام ونصف عام أن قاسم أمين قد اكتشف بعد سبع سنوات من دعوته (التى جاءت استدراجاً ومرضاة لنفوذ وليست خالصة لوجه الله تعالى) إنها لم تكن قائمة على أسسها الصحيحة وهى الدعوة إلى تربية الخلق والايمان بالله ، وإنها لم تكن على طريق الحق . أو ربما أن قاسم رأى بعد ان تغيرت الظروف بزوال كرومر ووفاة محمد عبده وانطفاء نفوذ نازلى فاضل (ربيبة كرومر) ان يتخفف من التبعة .

وربما كان لبعض التجارب اثرها فى نفسه . . فها هو يروى ان صديقاً عزيزاً زاره ذات مرة فلما فتح له الباب قال : جئت هذه المرة من اجل التحدث مع زوجك فدهش قاسم . . كيف

يطلب مقابلة زوجته ، فقال له صديقه : ألست تدعو إلى ذلك إذن لماذا لا تقبل التجربة مع نفسك . فأطرق قاسم أمين صامتا . ومما يذكر أن السيدة زوجة قاسم أمين كتبت منذ سنوات تعلن أن دعوة قاسم أمين كانت خطيرة وأنها لم تكن قائمة على أساس صحيح .

وقال محمد فريد وجدى :

إن دعوة قاسم أمين قد أحدثت تدهورا مريعاً فى الآداب العامة ، وأحدثت إنتشارا مفزعا لمبدأ العزوبة : وأصبحت ساحات المحاكم غاصة بقضايا هتك الأعراض وهرب الشابات من دور أهلهن .

ونعت الدكتورة بنت الشاطىء ما تكشف من حركة تحرير المرأة بما أسمته مهزلة أليمة موجعة . . تقول بنت الشاطىء :

« إن الرجال ساقونا لنعمل لحسابهم . . وهم يوهموننا أننا نعمل أو يعملون معنا لحسابنا . . ذلك أن الرجال رتبوا لنا الخروج زاعمين أنهم يؤثروننا على أنفسهم . . ولكنهم كذبوا فى هذا الزعم فما أخرجونا إلا ليحاربوا بنا السآمة والضجر فى دنياهم »

ثم قالت بنت الشاطىء :

« إن المرأة دفعت ضريبة فادحة ثمنا للتطور ويكفى أن أشير فى إيجاز

إن الخطأ الأكبر الذى شوه نهضتنا . وأعنى به انحراف المرأة الجديدة عن عن طريقها الطبيعى وترفعها عن التفرغ لما نسميه : خدمة البيوت وتربية الأولاد .

ونحن نرى البيوت أصبحت مقفرة منهن . أما الأبناء فتركوا الخدم .
وقد نشأ هذا الانحراف الضال نتيجة لخطأ كبير فى فهم روح النهضة .

وبلغ من سوء ما وصلت إليه أن نادت مناديات بحذف نون النسوة فى اللغة كأنما الأنوثة نقص ومذلة وعار . وأهدر الاعتراف بالأمومة كعمل من الأعمال الأصيلة لنا حتى سمعنا من يسأل كيف تعيش أمة برئة معطلة . . يقصد بالرئة المعطلة هؤلاء الباقيات فى بيوتهن يرعين الأولاد . .
وزعموا أن المرأة تستطيع أن تجمع بين عملها فى البيت ووظيفتها فى الخارج » .

انتهى كلام الدكتورة بنت الشاطىء

ولم تتوقف الدعوة الى تحرير المرأة بعد وفاة قاسم أمين بعد أن تلقتها الأيدى القذرة ومضت بها عن طريق الصحافة التى كان يشرف عليها المارون وخصوم الاسلام .

وكان فى مقدمة الدعاة الى ذلك لطفى السيد وانشاء مجلة خاصة تحت اسم السفور، وكان للطفى السيد فيما بعد دوره حين تولى أمره الجامعه وتآمر منح

طه حسين على ادخال الفتيات الى الكليات على شرط السفور والتحرر ، فكانت الموجات الأولى التى تركت بصماتها بعد ذلك والى مدى بعيد وفى مقدم هؤلاء السيدة أمينة السعيد التى ما زالت بعد ثلاثة أجيال تقود الحملة على مفهوم الاسلام ، وتدافع عن التغريب ، ثم كان موقف سعد زغلول بعد أن تولى قيادة ثورة ١٩١٩ التى لم يشترك فيها ، والتى ركب موجها وكان قائدها الحقيقى عبد الرحمن فهمى، أما صفية زغلول زوجة سعد زغلول فهى إبنة « مصطفى فهمى » عميل الحكومة البريطانية التى تولى الحكم ثلاثة عشر عاما متصلة صفى خلالها كل ما كانت تملكه مصر منذ عصر محمد على ، وهى التى أطلق عليها إسما من أسماء الاضداد : « أم المصريين »

الفصل الثامن

زعامة هدى شعراوى

أما ماهى ملابسات زعامة هدى شعراوى للحركة النسوية فالواقع أن هناك عدة ملابسات لا يفسرها إلا فهم تاريخ الحركة الوطنية فى مصر لرجلين : أحدهما والدها محمد سلطان ، والآخر زوجها على باشا شعراوى .

أما والدها محمد سلطان فيقول الدكتور عبد العزيز رفاعى فى كتابه « محمد سلطان أمام محكمة التاريخ » .

إنه كان من أعلام الثورة العربية . ولكنه تنكر لها فى أحلك أوقاتها ، ومشى فى ركاب أعدائها : الخديوى والانجليز . . حتى نال حظوته من الخديوى بالاحسان ، ومن الانجليز بالتقدير . . وقد أثبت ما أورده السيد محمد رشيد رضا فى كتابه : الأستاذ الامام محمد عبده « ج ١ ص ٢٥٨ ، ٢٥٩ عن الدور الذى لعبه محمد

سلطان فى خدمة مخابرات الانجليز فى سبيل الوصول الى معسكر العرابيين فى التل الكبير . »

وهكذا حمل لواء الخيانة للثورة العربية ، وطاف ببور سعيد والاسماعيلية لمعاونة الجيش الانجليزى الزاحف والايقاع بجيش عرابى معلنا الثقة فى الجيش الغازى ومطمئنا الأهالى على حياتهم .

وقد أفهمهم حسن نيات الانجليز إزاء المصريين ، وأبان لهم أنهم لا يستهدفون غزو البلاد بل يستهدفون تأديب العصاة .

وتابع سلطان باشا فأخذ يفرق الناس عن عرابى ، ويجمعهم لمعاونة الانجليز فأرسل الى شيخ بدو الهنادى المقيم فى الصالحية ويدعى سعود الطحاوى والآخر إلى محمد صالح الحوت ليتفق معهما على استمالة العربان ولم يكتف محمد سلطان بنشاطه فى الجاسوسية وبث الدسائس فى منطقة القناة وفى ميدان المعركة . بل مد نشاطه الى داخل البلاد ليقضى على معاونة شعبية لحركة عرابى . ورافق (ولسلى) قائد القوات البريطانية للتفاوض مع مشايخ العربان ، كما كانت الأموال التى أعدها الخديوى لرشوة شيوخ البدو فى عهدة سلطان (راجع بلنت : التاريخ السرى ومذكرة سلطان الى الخديو فى الاسماعيلية بدار المحفوظات التاريخية دوسية رقم ٢) .

وكان سلطان هو الذى أبلغ الخديو هزيمة عرابى ، ودخل سلطان القاهرة مزهوا يتطلع لفجر جديد فى حياته بعد أن سجل خيانته ، وكتب تاريخها بنفسه .

وقلده الخديو النيشان المجيدى الأول رفيع الشأن وضعه على صدره بيده ، وأعطاه عشرة آلاف جنيه تعويضا للأضرار التى لحقت به ثم عينه رئيساً لمجلس شورى القوانين . ولكن ضربة القدر لم تمهله ليتمتع بما اشترى من أطيان فداهمه مرض السرطان واشتد به المرض وتوفى فى أوربا سنة ١٨٨٤ ، وقد أنعم الإنجليز عليه بنيشان سان ميشل وسان جورج الذى يخول صاحبه لقب « سير » .

هذه هى خلفية الحياة الإجتماعية لقائدة النهضة النسوية والتى تزوجت وهى فى الرابعة عشرة من رجل غنى موسر صديق لوالدها يبلغ الخمسين من العمر هو على شعراوى باشا أحد الثلاثة الكبار الذين قابلوا المندوب البريطانى بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى (سعد زغلول وعبد العزيز فهمى) بوصفهم من رجال حزب الأمة الموالى للإستعمار البريطانى لعرض مطالب البلاد .

ولم يلبث شعراوى باشا أن توفى وقد كان الثلاثة هم دعاة الولاء البريطانى والتعامل مع الانجليز والشاجبين لمفاهيم الحزب الوطنى فى المفاوضة قبل الجلاء .

ولقد وجدت السيدة هدى شعراوى الفرصة سانحة للتحرير خاصة وأن السيدة صفية زغلول — إبنة مصطفى فهمى الذى حكم مصر بالحديد والنار خلال أول مراحل الاستعمار البريطانى ثلاثة عشر عاما وزوج سعد زغلول والمسماة بأسماء الأضداد « أم المصريين » — تستأثر بالزعامة السياسية فأرادت تفتح مجالا جديداً تنفرد فيه بالزعامة فكان ذلك هو مجال المرأة وخاصة وأنها نزعت نقابها فى ثورة ١٩١٩ .

ولقد تلقفتها جماعات تحرير المرأة العالمية والمنبثة فى أوربا وخاصة فى باريس وبرلين وبروكسل والتابعة المحافل الماسونية ومنظمات الصهيونية العالمية ووجدت فيها طيراً سميناً عدتها إلى حضور المؤتمرات النسوية العالمية التى كانت الصهيونية العالمية تديرها من وراء ستار ، والتى كانت تستهدف إحداث الضجيج حول حقوق المرأة السياسية فى البرلمان والحكم خلخلة المجتمعات الاسلامية ودفعها إلى طريق الإنهيار ،

والمعروف أن هدى شعراوى لم تنطلق فى دعوتها من أى منطلق إسلامى، بل على العكس من ذلك كانت سيدة سافرة برزة لها صالون ويتحلق حولها عدد من الرجال المجندين لكتابة الخطب والكلمات التى كانت تلقيها فى الاحتفالات وكانت تنفق على ذلك من أموال سلطان باشا التى دفعت ثمنها الثورة العرابية .

وكان فى مقدمة هؤلاء إبراهيم الهلباوى باشا محامى دنشواى والشيخ محمد الأسمر الشاعر .

وقد استطاعت أن تجند بعض الشباب ، وأن ترسل بهم فى بعثات تعليمية خاصة على حسابها إلى أوربا ومنهم من عمل فى الصحافة من بعد ، وحمل لواء الدعوة إلى تقديس هدى شعراوى ودعا الى تلك الأفكار التى تحرض المرأة على التحرر من القيود الاجتماعية ، والانطلاق حتى كان أحدهم يقول لواحدة سألته :

« لو كنت بغير أولاد لقلت لك أتركيه ورزقك على الله » والمعروف أن السيدة هدى شعراوى لم تكن تعبأ فى دعوتها بالمفهوم الاسلامى للمرأة ، أو تصدر عن فهم حقيقى لرسالة البيت والأسرة ولم تكن تتحرك فى هذا الاطار . وإنما كانت تضع أمامها المرأة الغربية كمثل أعلى . ولذلك فقد شجعت أسباب الزينة والأزياء والمودات المستحدثة ، وكانت أجنحتها من المثقفات ثقافة فرنسية وذات الولاء الماركسى والصهيونى ، ولم يكن للمفهوم الاسلامى لديهم أى أهمية .

ويقول الأستاذ حسين يوسف :

إنه لم يكن عجبا أن يعمل الاتحاد النسائى بزعامة هدى شعراوى

للأهداف التى يحرص الاحتلال على الوصول اليهـا ، وأن يردد فى عام ١٩٢٣ نفس المبادىء التى نادى بها مرقص فهمى من قبل ، والتى حمل لواءها قاسم أمين .

ولما كان دعاة تدمير مفاهيم المرأة المسلمة لا ينامون فانهم يدعون اليوم الى تجديد ذكرى هدى شعراوى بإقامة تمثال لها .

والهدف هو دعم هذه الأفكار المسمومة التى تستهدف تدمير الأسرة المسلمة وتحطيم البيت المسلم .

الفصل التاسع

خلفيات المؤامرة على المرأة المسلمة

أولا : المرأة المسلمة والتبشير :

يقول (الدكتوران عمر فروخ ومصطفى الخالدى) فى كتابهما (التبشير والاستعمار) يهتم المبشرون خاصة ، ان المرأة هى مدار الحياة الاجتماعية والوصول بالتبشير إليها وصول إلى الأسرة كلها ، من أجل ذلك كانت جمعية الشابات المسيحيات بفروعها ومن أجل ذلك كانت المنازل والمعاهد التى يعدها المبشرون للفتيات خاصه . ويصفق المبشرين باليدين لأن المرأة المسلمة قد تخطت عتبة دارها ، لقد خرجت إلى الهواء الطلق ، لقد نزعت عنها حجبها ولكنهم لا يصفقون لأن المرأة المسلمة قد فعلت ذلك ، بل لأن هذا يتيح للمبشرين أن يتغلغلوا عن طريق المرأة فى الأسرة المسلمة بتعاليمهم التبشيرية ، ولهذا السبب خاصة أخذ المبشرون منذ أمد يأتون بالنساء المبشرات ليتصلن بالنساء المسلمين وهم يصيحون : لقد سنحت لنا فرصة

جديدة ، وللمرأة عند المبشرين أهمية عظمى ، فقد قال نفر منهم « بما أن الأثر الذى تحدثه الأم فى أطفالها — ذكوراً وإناثاً حتى السنة العاشرة من عمرهم بالغ الأهمية وبما أن النساء هن العنصر المحافظ فى الدفاع عن العقيدة ، فإننا نعتقد أن الهيئات التبشيرية يجب أن تؤكد جانب العمل بين النساء المسلمات على أنه وسيلة مهمة فى التعجيل بتنصير البلاد الإسلامية ، من أجل ذلك أهتم المبشرون بالتبشير بين النساء اهتماما خاصاً ووضعوا له البرامج المفصـــلة ، وأكثروا من إرسال المبشرين والمبشرات لهذه الغاية ثم استعانوا على ذلك بكثير من الجمعيات النسائية فى أمريكا ، وتبدى موضوع المرأة فى صورته الحقيقية فى أن المرأة عنصر فعال فى الحياة الدينية فإذا بالمؤتمر التبشيرى الذى عقد فى القاهرة عام ١٩٠٦ يتمخض عن هذا النداء .

« لاسبيل إلا بجلب النساء المسلمات إلى المسيح ، ان عدد النساء المسلمات عظيم جداً لا يقل عن مائة مليون فكل نشاط مجد للوصول إليهن يجب أن يكون أوسع مما بذل إلى الآن ، فطلب من كل هيئة تبشيرية أن تحمل فرعها النسائى على العمل واضعة نصب عينها هدفاً واحداً هو الوصول إلى نساء العالم المسلمات كلهن فى هذا الجيل » .

ومنذ زمن قديم والمبشرون يرون أن يهاجموا هذا المعقل الحصين فى

الإسلام فزعموا أن المرأة المسلمة متأخرة وانها لا تتحرر إلا إذا دخلت فى النصرانية ثم انهم يزعمون أيضاً ان الدين الإسلامى نفسه مصدر ألم للمرأة المسلمة ، انها تتألم بسببه طبيعيا وروحيا وعقليا : إنها تخاف من زوجها ومن الموت ومن الطلاق . على ان الذى يفتريه المبشرون على المرأة المسلمة كثير لا سبيل إلى حصره ولا تمدد وجوهه فلماذا يفعلون ذلك ؟ إن لذلك عندهم غايتين .

(الأولى) ان يثيروا عاطفــــة الأغنياء من النصارى فى أوربه وأمريكه للبذل فى سبيل التبشير .

(الثانية) أن يحطموا من عزيمة المسلمين ويحملوهم على الشعور بالنقص فى أنفسهم . ويبالغ بعض المبشرين فيزعم ان المسلمين لا يستطعون ان يتخيلوا أن بإمكان المرأة ان يتعلم الدين ، فمن أجل ذلك يريد المبشر الذكى ان يدخل إلى الحريم نساء فيبشرون بين نسائه من غير ان يتسرب شك تحقيقه مهمتين » .

٢ — المدارس الداخلية للبنات

يقول الأستاذن : خيال والجوهرى (فى كتابهما الأخوات المسلمات وبناء الأسرة القرآنية) : أدرك المبشرون ان المرأة ذات أثر عميق فى التربية

فأولوها اهتماما كبيراً فبادروا إلى إنشاء أول مدرسة تبشيرية للبنات في بيروت ١٨٣٠ ثم فتحوا مدارس كثيرة للبنات في مصر وسورية والهند وأفغانستان وجميع بلدان الإسلام التى ابتليت بالاستعمار الغربي وقالوا ان التبشير يكون أتم حبكا في مدارس البنات الداخلية لما يحتوون من الأحوال المؤاتية والفرص السانحة ، ان المدرسة الداخلية تفضل المدرسة الخارجية لأنها تجعل الصلة الشخصية بالطالبات أوثق ولأنها تنزعهن من سلطات بيئية غير مسيحية ويفرح المبشرون إذا اجتمع في مدارسهم الداخلية بنات من أسر معروفة لأن نفوذ هؤلاء حينئذ في بيتهن أعظم . وعن طريق هذه المدارس وفي إطار الخطة العامة للتبشير والاستشراق « في إضعاف مثل الإسلام وقيمه العليا من جانب وإثبات تفوق المثل الغربية من جانب آخر وإظهار أي دعوة للتمسك بالإسلام بمظهر الرجعية والتأخر » عن طريق هذه المدارس إهتم المبشرون بما يسمونه « تحرير المرأة » وتخريج جيل من الفتيات المسلمات اللواتى لا يعرفن من دينهن وتاريخهن شيئاً ، ويتعلقن بالحياة الغربية التى تفسح لهن الطريق إلى الفساد والإنحلال باسم المساواة والتحرر من الرجعية .

التبشير يرمى إلى إخراج المرأة المسلمة من عقيدتها وخلقها وكرامتها لتكون « متحررة » من الإسلام ولتنطلق على هواها فلا تكون في المستقبل الأم المسلمة التى تغرس في أطفالها غراس الإسلام

والإيمان وتنشئهم على الولاء لدينهم ولأمتهم ، يضحون فى سبيلهما بالنفس والمال » .

ومن أجل ذلك أشارت مؤتمرات التبشير إلى أن تحرير المرأة قد نما فى قلوب المسلمين وان التعليم النسائى جزء هام من تعليم المبشرين ، بهدف دك حصن الأسرة ، ومعولهم فى ذلك هى المرأة تخلع ثوب الإسلام فى مدارس الإرساليات التبشيرية وتتطبع على حياة العرى : عرى الروح وعرى الجسد .

وإلى هذا أشار مسيو اتين لامى فى مقال قديم : قال :

إن مقاومة الإسلام بالقوة لا تزيده إلا إنتشاراً فالواسطة الفعالة لهدمه وتقويض بنيانه هى تربية بنيه فى المدارس المسيحية وإلقاء بذور الشك فى نفوسهم منذ الطفولة فتفسد عقائدهم من حيث لا يشعرون وان لم يتنصر منهم أحد فإنهم يصيرون لا مسلمين ولا مسيحيين ، وأمثال هؤلاء يكونون بلا إرتياب أضر على الإسلام مما اذا أعتنقوا المسيحية وتظاهروا بها وان تربية البنات فى مدارس الراهبات ادعى لحصولنا على حقيقة الغرض ووصولنا الى نفس الهدف . بل أقول أن تربية البنات بهذه الكيفية هى الطريقة الوحيدة للقضاء على الإسلام بين أهله . ان التربية المسيحية أو تربية الراهبات لبنات المسلمين توجد

للإسلام داخل حصنه المنيع [الأسرة] عدوة لدودة وخصم قوى لا يقوى الرجل على قهره ، لأن المسلمة الى تربيها يد مسيحية تعرف كيف تتغلب على الرجل ومتى تغلبت هكذا ، أصبح من السهل عليها أن تؤثر على عقيدة زوجها وحسه الاسلامى وتربى أولادها على غير دين أبيهم ، وفى هذه الحالة نكون قد نجحنا فى غايتنا من أن تكون المرأة المسلمة نفسها هادمة الاسلام» .

الفصل العاشر

أبطال الدعوة المسمومه

لا ريب أن أبرز أعداء الدعوة المسمومة : تحرير المرأة من الإسلام هم:

رفاعه الطهطاوى ، مرقص فهمى ، قاسم أمين ، سعد زغلول ، ولكن الأمانة التاريخية تقتضينا أن نتحفظ على ما ذكرة رفاعة فقد كان يطمع فى أن ينقل الجوانب الإيجابية فى الحضارة القريبة وان كان قد أخطأفى مسائل: المسرح والرقص والاختلاط ، أما قاسم أمين فان موفقة المعروف الذى اضطر إليه كان بفعـــل تموجات السياسة فى صالون نازلى فاصل وعلاقاته بالشيخ محمد عبده وسعد زغلول وان كان قد تراجع عن ارائه قبل موته .

ويرد بعض الباحثين هذا الاتجاه إلى تغلب مفاهيم الماسونية فى هذه الفترة والمعروف أن سعد زغلول كان من رجالها وانه هو انتزع النقاب معه وجه المرأة المصرية فى إحدى المظاهرات ولكن يجب أى تكون على بينه من أن القوى التى كانت خلف المسرح هى التى كانت تحيط بالقضية كلها وبالمؤامرة كلها أما هؤلاء فقد كانوا من الدمى التى يتحركون ولا يعرفون

إلا قليلا عن إبعاد الخطر وربما كانوا حسنى النيه بتعليم المراة ، ولكن هكذا تبدأ الأمور دائما ثم يتحول إلى غاياتها البعيدة دون أن يستطيع الماسكون لخيوطها أن يقفوا عند حد معين،ولا ريب أن الماسونية هى العامل الاكبر وراء قضية المراة فى الغرب وفى البلاد الإسلامية من أجل سيطرة الفكر التلمودى الذى رسمته بروتوكلات صهيون والذى يرى إلى تدمير المجتمعات البشرية وكان هدف الماسونيه « التحرر » من الأديان والقيم والمثل والاخلاق ، والاندفاع وراء حدود الشرائع وتحريض المرأة على الفساد لتكون اداة متعة ، وليس ملكة أسرة .

وهناك الارتباط العضوى بين الماسونية والصهيونية .

ثانيا : تقويم : قاسم أمين :

أشار الأستاذان خيال والجوهرى إلى أن آراء قاسم أمين فى المسائل الاربعة التى تناولها :

(١) الحجاب :

(٢) اشتغال المرأة بالشئون العامة .

(٣) تعدد الزوجات .

(٤) الطلاق ،

إلى أنه ذهب فى كل مسألة من هذه المسائل إلى ما يتوائم ويتلائم مع الحضارة الغربية وفلسفتها زاعما أن ذلك هو ما يعنيه الإسلام وانه فى كتابه المراة الجديدة التزم بالمنهج الغربى الحديث الذى يرفض كل المسلمات والعقائد السابقة سواء ما كان منها عن طريق الدين وماجاء من غير طريقة وقد دعا فى آخر الكتاب دعوة صريحة إلى تقليد الحضارة الغربية وأساليبها ، واخطر عباراته فى ذلك قوله (أنه من المستحيل أن يتم إصلاح ما فى أحوالنا إذا لم يكن مؤسسا على العلاقـــة المصرية الحديثة » .

وقد عارض مصطفى كامل زعيم الحزب الوطنى وجماعة هذا الاتجاه وربطوا بينه وبين دوافع الاستعمار ، وحذروا الأمة من هذه الحركة ، وقال « أن لكل أمه مدنية خاصة بها فلا يليق أن تكون قردة مقلدين للأجانب تقليدا أعمى ، فالحجاب فى الشرق عصمة واى عصمه لحافظوا عليه فى نسائكم وبنائكم وعلموهن التعليم الصحيح » .

ثالثا : نازلى فاضل

يقول فارس بمر .

كانت الشخصية التى ألقت ظلها على هذه الحركة (حركة محمد عبده . سعد زغلول) واظهرت عطفها على أولئك الشبان المجاهدين، ومعنى هذا أن هذا الصالون الذى كان واقعا تحت نفوذ اللورد كرومر والذى تشوبه شائبة واضحة من مخططات الماسونية كان يهدف إلى اقرار نظام سياسى لمصر وقد بات ذلك واضحا فى ترشيح سعد زغلول وزيرا للمعارف ، وتولى لطفى السيد انشاء الجريدة وبذلك يحقق هدف النفوذ الاستعمارى من تسليم الحكم فى مصر إلى المتفرنجين الذين كونهم كرومر خلال ربع قرن فى مجال السياسة والتعليم والثقافة والصحافة .

رابعا: دور طه حسين

كان لطه حسين دور فى قضية تحرير المرأة ، هو انه أنشأ معهد التمثيل وأدخل فيه الفتيات وفتح آفاقا خطيرة للطالبات فى الجامعة فسمح لهن بإقامة حفلات فى بيوتهن يستقبلن فيها زملائهم مع من الشباب ومن أبرز تلاميذ طه حسين : السيدة أمينة السعيد والدكتورة درية شفيق والسيدة سيزا نبراوى وكل المثقفات الفرنسيات اللائى كان طه حسين يعنى بآثارهم ومنهم السيدة قوت القلوب الدمرداشية بل انه دعا المرأة على الاتثار بالرجل وبالأسرة فى محاضرة معروفة فى بيروت . وكان حفيا بالمرأة فى مجالات المسرح والفن تحقيقا لهدفه الأصيل .

وقد عرف من بعد الدور الذى قامت به درية شفيق بالاتفاق مع المنظمات النسائية الصهيونية وغيرها ، وليس كالدور الذى قامت به أمينة السعيد خلال أربعين عاما ، فى سبيل خدمة هدف تحطيم الأسرة وحملاتها العنيفة على علماء الاسلام ولا بد أن ذلك كله يتحرك فى إطار المخططات الماسونية والتلمودية التى تقودها أيد

خفية من وراء المسرح ، وكان من وراء ذلك تحطيم قوامة الرجل وادخال قوانين الطلاق الأوربية فى مصر وإلغاء تعدد الزوجات ،

وقد تبين ان هناك مصادر مشبوهة فى الصحافة النسوية التى كانت تصدرها رئيسة حزب بنت النيل ، فضلا عن دور دار الهلال قبل تأميم الصحافة فى مصر ويجىء فى هذا السياق كتاب القصة الجنسية المكشوفة الذين عملوا على إفساد مفهوم المراة المسلمة وفى وفى مقدمتهم توفيق الحكيم وإحسان عبد القدوس ونجيب محفوظ ويوسف السباعى وامين يوسف غراب وغيرهم .

ولقد اثبت الأستاذ محمد فهمى عبد الوهاب فى كتابه (الحركات النسائية فى الشرق) مدى صلة هذه الحركات بالاستعمار والصهيونية العالمية .

واتاحت الفرصة للحركات النسوية فى السنوات الأخيرة فرصا للإندفاع نحو الغاية وتبنت روابط مع الجمعيات التبشيرات العالمية تحت إسم التمريض والطب وتحت إسم العمل على تحديد النسل ودور

الحضانة ولكننا نستطيع أن نقول ان نهضة إسلامية حقيقية فى محيط المرأة المسلمة تبرز الآن وهى نهضة صادقة لأنها تقوم على فهم صحيح لفقه المراة المسلمة ودورها الحقيقى فى المنزل والأسرة وتربية الطفل وفى المطالبة بتعليم إسلامى للمراة يؤهلها للغاية الحقيقية التى التى أعدها لها الاسلام .

ولا ريب ان تطبيق التشريع الاسلامى وحماية المراة من القوانين الوضعية فى مجال المجتمع والجريمة والزنا هى العوامل الأساسية فى بناء قاعدة إسلامية اما هذا الطريق الذى تسلكه حركة التغريب فانه يمكن ان يسمى ويحق :

« تحرير المراة من الإسلام »

والله يقول الحق وهو يهدى السبيل ؟

أنور الجندى

رقم الايداع ١٩٨١/٢٢٤٦